نـافـذة

النور والتنوير والفضل..!

تتردد أسماء، يبقى في الذاكرة منها ما يبقى، وينبش بعضها ترهل الفكر ليعيد إليه الصحو في مراحل عدة، بالأمس استبد بي القلق، وفعلت ما أفعل عادة، أهرع إلى مكتبتي لأقرأ شيئاً، أو أطلب قناة ثقافية لا أتمكن من متابعتها عادة، فإذا بي أسمع الأستاذ الدكتور صلاح فضل، الأستاذ الرائد والعالم، صاحب الدراسات الذائعة والمؤثرة، التقيت د. فضل مرة واحدة، وسمعت منه كلاماً طيباً يشبه محاضراته وكتبه، وتحول إلى جوهر الذاكرة، لكنني بالأمس كنت بحاجة لسماع أشياء لا تتعلق بالنقد، وكان لي ما أردت، فالدكتور فضل تحدث عن المبتعثين وغاياتهم، وتحدث عن الدكتور حسين مؤنس العالم الجليل الذي كان ملحقاً ثقافياً في إسبانيا ورعايته للطلبة، وأشار إلى أن صاحب الفضل في هذه البعثات هو الأستاذ الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي، فتحدث عن أساتذته وسابقيه باحترام وتقدير واعتراف، وتحدث عن زملائه بحب قلّ مثيله، ولكن ما يعني هنا حديثه عن الابتعاث وغايته، فهو أرسل للحصول على شهادة الدكتوراه في الأدب، وكان بإمكانه أن يفعل ذلك وفي شهور من دون أن يتقن الإسبانية، لكنه تفرغ لتعلم الإسبانية، ومراجعة المخطوطات، والترهب في الإسكوريال، بل شكل فريقاً من المبتعثين لفهرسة هذه المكتبة بغية الاستفادة منها، وبعد دراسة ممعنة فرضها على نفسها عاد ليكون ناقداً مهماً ومثالاً للدارس الذي يحمل ما لا يحمله الآخرون.

أما حديثه الأهم، والحديث قديم قبل وقت، فهو حديثه عن العلاقة بين الثقافات، وموقفه من الثقافة العربية والتراث، فهو كما يتفق الباحثون يرى أنه مر زمن كانت فيه الثقافة العربية ثقافة علم وأدب وحضارة، وقد أخذ العالم الآخر عنها من دون تحفظ، من العالم الغربي إلى العالم الشرقي، وقد نهضت حضارات على أكتاف الثقافة العربية، وفي هذا الإطار يقدم الدكتور فضل دراسة مميزة ورائدة عن تأثير الأدب العربي في الآداب الأوروبية، ويضيف إنه ليس مع المتحفظين على المثاقفة مع الحضارات الأخرى، بل علينا أن نقوم بأمرين مهمين، أولهما أن نأخذ العلم والأدب والنقد والثقافة من الأمم الأخرى، ومن دون أي تحفظ للنهوض بثقافتنا وأمتنا، ولن يكون النهوض بإعادة اجترار الماضي، وثانيهما أن نقف في قراءة نقدية للتراث العربي القديم، وأن ندرسه دراسة نقدية قاسية، فليس كل التراث القديم يصلح لأن نقرأه ونقدره ونحياه، ففيه الكثير مما يستحق الإتلاف والإهمال.. هذه الفكرة غاية في القيمة والأهمية، وأغلب ما نحن فيه من تخلف علمي وحضاري ونقدي يعود إلى جهلنا بالثقافات الأخرى، وابتعادنا عن الأخذ عنها ودراستها، وكذلك يعود إلى الطريقة التي نتعامل بها مع التراث، فكل ماض مقدس، وكل قديم له قيمة! وكل الحاضر لا يفهم كما يفهم بدوي في الصحراء، قال فأخطأ، فأوجدنا مسوغاً للخطأ وتابعناه عليه!

إن أي كتاب مخطوط، ولو كان كاتبه ركيكاً أو فارسياً أو تركياً، أو لصاً نقف عنده موقف العابد للتراث والمخطوط، ما يمنعنا من تقديم الرؤى والاجتهادات والقراءات! وما من أمة في الكون تجد الباحث فيها يقزم نفسه لماض ميت، ويقبل أن يكون طالباً متخلفاً ورديئاً على طاولة أحدهم لمجرد أنه مات وانتهى.

أطرف ما في الحوار أن المحاور لم يطرب لرأي الدكتور فضل في التراث، وهو الناقد الذي هضم التراث فقاطعه، ولم يعطه الفرصة للشرح، لذلك آليت على نفسي أن أشرح شيئاً مما لم يسمح به المحاور المذيع، خوفاً من ألا يحظى برضا طائفة من التراثيين المحنطين الذين لا يقبلون رأياً بأي شيء مضى، ولا يقبلون شيئاً نحياه.. الحروب تأتي وتنتهي، وبانتهائها تزول آثارها تدريجياً ويعود البنيان، لكن الأهم الذي لا جدال بأهميته وخطورته هو الفكر والثقافة، هو الجهل والتعامل مع ممارسي عملية التجهيل المنهج لتبقى راياتهم خفاقة، وليستمر تسلطهم على الفكر والمجتمع، على الرجل والمرأة، على الطفل ومقعد الدراسة! والأدهى أن هؤلاء هم شركاء السلطات السياسية العربية عبر التاريخ، يتقاسمون السلطة والمال والهيمنة، ويتقاسمون غنائم التجهيل الخطر الذي يعيدنا في كل مفصل نهضوي إلى حروب داحس.

للنور والتنوير علائم تتجاوز الأنا، ولا تكتفي باجترار الذات، وإنما تسعى لمعرفة الآخر وقراءته، والإفادة مما لديه، وللإفادة شروط الجراحة القاسية للغاية، التي قد تضطر أحدنا لرفض الكثير الكثير مما أنتجته الذات حتى لا يصبح العلم اجتراراً، وإعادة تدوير لما يدور في الذات من خصوصيات..

إن ما طرحه المتنورون ابتداء من عبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده وغيرهما من العلماء وأصحاب الرأي، وصولاً إلى عبد السلام العجيلي وصلاح فضل وجابر عصفور وسواهم يستحق أن يقف المرء عنده مطولاً..! لم يقف عنده السابقون وها نحن نستهجنه اليوم، ونرفض الوقوف عنده، وربما ننعت القائل به بأقسى النعوت، لنحافظ على كينونة متورمة لا خير فيها غير المصلحة الذاتية والخاصة..! لو أردنا أن نعطي حكماً حقيقياً على ما نحن فيه فإننا سنصاب بالخيبة إن اكتشفنا واعترفنا بأن ماضينا البعيد والقريب على السواء كانا أكثر حرية فكرية واجتماعية من حاضرنا! وتزيد المفارقة عندما نستشف أن المقبل ليس أفضل من اليوم نهائياً، وأن الانحدار الفكري الذي تمثل في تقديس ما لا يستحق، ورفض ما يجب تقبله ما يزال مستمراً، سنعرف أن الحياة تبدأ غداً، ولكن بغد مشروط بالتحضر والقراءة والانفتاح، وببصيرة يعجز الجهل عنها.. إن الجهل في كل ميدان هو الذي يحكم حياتنا، والجهل تورم، والتورم عناد، والعناد تطرف لا مثيل له.. ومن جهل إلى جهل حياة تستمر رتيبة، والمنارات تخبو ولا يظهر فضل متنور، ويمكن أن نكشف في المتنور ما يستحق الشتم واللعن لنحوله إلى أبي رغال، لكن افتقد فضيلة أن يقصده الناس المؤمنون لرجمه!!

إسماعيل مروة

عباس النوري يوضح حقيقة ماصرح به..بطل!! أم ضحية؟

لا أدّعي الاختصاص ولست باحثاً أو كاتباً أو مؤرخاً

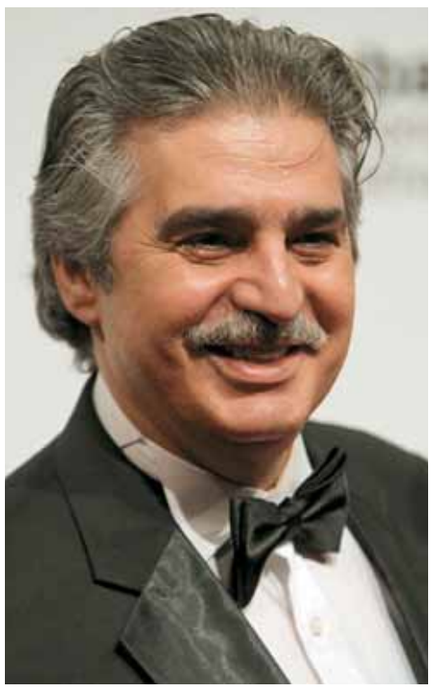

| عباس النوري

بعد الكم الهائل من ردود الأفعال على كلامي الذي قلته في حديث إذاعي سابق وكنت في معرض الحديثً عن الضرورة اللازمة والوطنية لإعادة البناء عبر النظر في الكثير من المفاهيم التي تربينا ونشأ وعينا عليها، وكذلك ارتسمت من خلالها شخصيتنا الوطنية ومنها مفاهيم جاءت من تاريخ عربي وإسلامي حافل وطافح وكبير، وله من الضخامة ما يجعلنا نعترف بصعوبة الخوض فيه من دون مساءلات من هنا أو هناك أو اتهامات أو تأييد من هذا الطرف أو ذاك!

حتى يمكن النظر إلى هذا التاريخ وكأنه متاهة يضيع فيها المرء لكثرة المراجع واختلافها بل كثرة تناقضاتها وتناقض رواياتها مع كل فترة وكل زمن وكل قبيلة وكل دولة أو دويلة أو إمارة أو خلافة، نشأت وبادت أو انهزمت أو انتصرت.. أو.. أو.

وبعد كل ذلك الغضب الذي تم فيه إثارة الشارع على كلامي الذي اقتطع منه ما يلزم كما أراد ناقلوه عبر وسائل التواصل الاجتماعي (علماً بأنني لست من رواده)، واعتبروا كلامي يحمل نوعاً من التعريض والتعرض المقصود لرمز، وكأنني أستهدفه من دون سواه أو من دون هدف أهدف إليه من وراء رأيي الذي كنت بصدّد شرحه وتوضيحه، أجد نفسي الآن أمام نتائج لابد من قراءتها والتصريح عن رأيي بها بما يلي:

بدايةً ومع كامل الأسف كانت النتيجة الأبرز تميل لمصلحة كفة الغضب الرافض برعونة ولم أفهم من ورائه رأياً يمكنني من التقييم والمحاكمة أو الحوار، وهذا بحد ذاته وضعني أمام امتحان حقيقي مع الناس الغاضبة أو التي أستغضبت وتم إغضابها علي فوضعتني في أحرج موقف لي في حياتي. إذ لابد ولامناص ولامراء لي إلا أن أتلقى بصدر مفتوح وشجاع ورحب كل هذا السيل الجارف من الغضب لرأي قلته في رمز (وإن بدا مبتوراً)، وهنا أجد نفسي شجاعاً في الانحناء محترماً هذا الغضب العاصف.

وإن تطلب الأمر اعتذاراً فأنا صاحبه وغضب الناس جدير بانحناء الجميع له من دون شك، ولابد من التنويه الأكيد بأنني لا أدعي الاختصاص ولست باحثاً أو كاتباً أو مؤرخاً بل أنا مجرد قارئ ودارس للتاريخ في الجامعة، وبذات الوقت متابع وصاحب فضول ساخن يأخذني لكل المطارح الممنوعة على المعرفةً والتداول، ومذ كنت طالباً كنت كارهاً كل ما يمنع وأعتبر كل ما يُمنع عني إنما يمنع عني المعرفة كما يمنعني عن التفكير بحرية ويمنع عني المستقبل الذي سيبنيه علي هواه كما بني التاريخ أيضاً على هواه.

انقسمت الآراء واختلفت في هذا الشأن وكنت أتابع ذلك بعيداً عن صخب المواقف الرافضة أو المؤيدة، واضعاً نصب عيني البحث عن رأي يفيد ويحقق نجاحاً للمناقشة أو الحوار المثار من دون عصبية أو إلغاء للآخر!

ولابد من الاعتراف بأن ما سمعته من همس ونصائح وكلام بقصد مواساة الموقف كان يزعجني ويضعني في حرج مضاعف أمام هذا الموقف الذي لامناص من جلائه قبل أي اعتبار آخر.

قرأت للكثير من الآراء رفضاً وتأييداً وأعيد التذكير هنا بأن ما قلته لم يكن حول رمز بحد ذاته (؟؟)، بل حول مشكلة إضفاء القداسة والمنع على كل الرموز التي شكلتنا ومنعت عنا استجلاء حقائق قد تفيد أكثر إذا ما فتحت صفحات تلك الرموز وأتيحت للنشء المتوالد تباعاً من أجيال أن يطلع ويفكر ويحلل ويستنبط بنفسه النتائج من دون حفظ ببغاوي أو تلقين مسبق بلا هدف سوى الحفظ نفسه، أفلا نعيد بذلك تشكيل شخصيتنا ونمنحها المنعة والقوة والانتماء من دون وراثة غبية؟

وخصوصاً مع هذا الصراع القائم فينا وعلينا ومن كل قوى الأرض قاطبة!

وأضرب مثالاً على ذلك شخصية (صلاح الدين الأيوبي) وهي لبّ السخونة الناشئة في هذا الحوار المتشظي والذي يزداد تشظياً من دون بوصلة منطق تمسك بزمامه! وأرجو ألا يحتكر أحد كامل المعرفة لهذا الرمز لأنني كغيري من السوريين نشأت وتربيت وتشكل وعيي وبعض من شخصيتي على هذا الرمز، وهو بطل تاريخي احتل مكانته من دون تدليس أو تزييف أو استعارة لمنجز ناجز أو نصر مشهود أو.. أو.. ممن حفلت بهم بعض صفحات تاريخ كُتب بغير لغة! وهو ما زال سيفاً وفارساً وباني صرح دولة ممتدة عجزت عن تحقيقها خلافات شاخت وهرمت في زمنه و.. و.. ولن تتسع الكلمات للإلمام والتعداد والإطناب والمديح والتقريظ و. و... و.. الخ.

لكن الفهم يستوجب الإحاطة والنظر بكل ما هو متاح للمعرفة وليس حكراً على إشادة يمكن إكساؤها بلبوس غير مناسب للعلم والتحليل والاستنتاج الحر.. فالتاريخ لم تستوجب قراءته يوماً أن تقوم للوضوء قبل الاطلاع.. وهو ليس كتاباً للترتيل بقدر ما هو صنيعة بشرية تحتمل الجدل والشك واليقين وعكسه. وأعتقد حازماً وجازماً بأن ذلك الأمر بحد ذاته هو واحدٌ من أهم أسباب تخلفنا وتراجعنا المستدام بكل أسف وسيستديم بأسف أكبر إذا ما بقينا أسرى لكل قراءة خائفة لحقائق أو أحداث أو معلومة أياً تكن.

ونزع القداسة ليس كفراً بالرمز بل هو مفتاح حقيقي وعلمي لإعادة اكتشافه، كما هو مفتاح لاحترام عقلنا حين نقرأ عنه ونعيد فهم ماضينا فنتماهى مع حقائقه التي تدعونا لتحمل مسؤولية ما هو واجب علينا تجاه تاريخ لانقرؤه للتغني والتمجيد المكرر الملحن فقط على طريقة مبتكري الممنوعات والمدافعين عن تكريسها وتحفيظها وتلقين عبرها ومواعظها (!!).

أسفت لبعض آراء ناصرتني وأحترمها كما أسفت لبعض آراء خالفتني وأحترمها إذ لم أصل من كل ذلك إلى نتيجة واضحة سوى الانقسام الذي لا يحترم فيه الخصوم فكر بعضهم بل يسعون لإلغائه وإلغائي بطريقهم، وأسفت أكثر لمعركة كهذه يريدني البعض فيها (بطلاً) كما يريدني البعض الآخر (ضحية)..

لم ولن أكون بطلاً لمعارك كهذه يحتل جنباتها التشنج والغضب المنفلت من دون تعقل سواء لهذا الطرف أو لذاك.. كما لن أكون ضحية حتماً.. وأجدني أقرب للاستقالة من معارك كهذه نستطيع أن نرى نهايتها ونتائجها رؤية العين قبل بدايتها، فلا شيء سوى الاختلاف الغاضب وإقامة المحاكم على كل رأي وكل تصريح وكل مداخلة ومن دون أي حوار أو نقاش أو على الأقل تبادل للرأي أو المعلومة!

ولأنني سوري قبل أي شي آخر فإنني معني باكتشاف المزيد من غنى هذا المفهوم السوري الضارب في أعماق التاريخ بتنوعه العرقي والإثني والديني والطائفي والقومي و... و.. على حد سواء، وسأبقى فاتحاً لصفحات تنوعه واختلافه ومطّلعاً على كل من شارك في بنائه ومنعته، وقناعتي سيحددها تفكيري ومحاكمتي فقط من دون تلقين وإملاء مسبق، فلا بناء من دون معرفة ولا قوة أيضاً من دون ذلك.. فإن كنا نأمل للأجيال قوة وبأساً فلنتح أمامهم كل المعارف وليخرجوا بمعرفة تزيد منعة انتمائهم بل اعتزازهم بالانتماء نفسه أيضاً لأن الانتماء اختيار وليس إملاء ووراثة أو تركة إرث يمكن الطمع به من عدمه.

ولن يعيب أي رمز أن تفتح صفحاته مهما كانت، فعيب المنع أكبر من أي عيب آخر بل سيخفي في جنباته المزيد من الظنون والشك ليس إلا!

عدا ما سنحصد من وراء ذلك المنع من إنتاج أجيال قادرة على الحفظ والاستظهار من دون تبنٍ لقناعة أو فكر أو ثقافة، وتكون بذلك أشبه برب الأسرة الذي لا يخطئ بنظر أولاده على الإطلاق وهو يستمر في إثبات صنميته أمامهم على الدوام حتى يخرجوا إلى الدنيا وقد امتلؤوا بكل الأسئلة المحظورة داخل رؤوسهم وحدها ومن دون أن يقرؤوها في وجهه... فقط لأن رب الأسرة هنا حامل ووارثٌ للحفظ من دون قراءة واطلاع وتعب، ولا يملك إجابة على تلك الأسئلة لأنه كان من الحفظة وتم تلقينه بما هو مطلوب فقط.

لن يفتح بابٌ للمعرفة من دون إحترام لكل الأسئلة ومهما كانت جريئة..

فالامتحان في الإجابة والمعرفة وبكل جوانبها المحيطة والمطلوبة..

هل من الخطأ أن نعيد بناء النفس..؟

(كسورين) تحديداً

ومتنوعين بتحديد أكثر

وخاصة في هذه المرحلة الطافحة بحساسية واستحقاق السياسة والاحتراب والدمار والتفرقة وإرهاب التكفير باسم الدين وما أسفرت عنه الحرب علينا من اختلال واختلاط وامتزاج وزحام أفكار غريبة عن النسيج المستحق في المجتمع السوري الطافح بالتنوع..!

سنخطئ إذا ما أبقينا الحصانة من دون ولوج لاستحقاقها وسنساهم في ارتكاب أبشع الجرائم بحق ذاك النسيج المتنوع وسنكون أول الحاصدين لنتائج الهجمة التكفيرية الهمجية التي تركت آثارها في أمواج الهجرة للبناة الأوائل من المسيحيين..!

فهل سنقف على أطلال الغنائم متفرجين على وداع شريك غاب؟ أم سنفتح أبواب كل فكرٍ يفيد بإعادة اللحمة والوحدة الوطنية بمسؤولية مستحقة عبر مفكرينا وباحثينا وكتابنا ومثقفينا على اختلاف مشاربهم وأفكارهم، وبعيداً عن جوقة التمجيد والاستظهار والتلقين الذي لن يبني في مستقبل حياة السوريين سوى الأمس نفسه؟ ومعاً لإعادة إعمار النفس وتحمل مسؤولية المشاركة والتضامن مع التنوع دون سواه.. فإعادة إعمار العقل والفكر أولى بالأولوية من إعمار المساكن التي أتمنى (وإن كنت طوباوياً) أن نسكن فيها معاً بكل تنوعنا العرقي والديني والطائفي والمذهبي والعلماني وقد فتحنا كل الأبواب بعضها على بعض وكأننا عائلة واحدة.

نحن في نهاية النفق للخروج من الأزمة والحرب، عشناها معاً وسننتصر فيها معاً وحتماً معاً، دفنا الشهداء من أبنائنا كي تبقى ذكراهم فينا ونحن نحمل ابتسامة يوم جديد سنتمكن من بنائه معاً فلنختلف باحترام كي نحيا بمحبة وكما لبعض رموز تاريخنا العربي والإسلامي حضور بتسميات الشوارع والأمكنة أرى ضرورة لحضور تسميات رموز سورية أخرى وإن كانت مما قبل الميلاد نفسه، فهل نرى مثلاً شارعاً يحمل اسم ابولودور الدمشقي الذي تحتفي به روما وتجعل من لوائحه وشرائعه أثراً خالداً على أبواب ساحاتها التاريخية؟ دوننا وهو دمشقي قبلنا جميعاً! وسورية لها من العمر ما هو أكبر من كل ثقافاتها الوافدة..

وختاماً.. أجد من الواجب تقديم الشكر الجزيل لكل الأساتذة والمؤرخين والباحثين والكتاب السوريين والعرب الذين رافقوني اختلافاً وتأييداً في هذا الشأن.

وأقدم احترامي لكل من استمعت إليه ممن اختلف معي وكان له رأي سديد، أو اتفق معي وكان لرأيه كل الاحترام والتقدير.

وكما أشكر مطلقي الغضب وأقدم لهم اعتذاري لما أصابهم به كلامي من أثر لم أتقصده بالتأكيد.. أشدُ على يد من يدعو لضرورة حضور الرمز في حياتنا لكنني سأصافحه بحرارة أكثر إذا ما انفتح على كل الأسئلة وكل النقاش مهماً شككت، فاليقين لايبدأ من دون الشك والشكّ الذي لا يثير الأسئلة سيكون فخنا الأصعب إذا ما واجهناه لأنه شكٌ خبيث لا يطلب إجابة بل ينتظر نتائج العصبية والانغلاق ليس إلا!

وليعلم الجميع بأنني لم ولن أقرأ سطراً واحداً من تاريخنا السوري تحت أي اعتبار كان سوى لعقلي الذي أصر على حريته وتجاوزه لكل مقدس أو موروث. طائفةً كان أم غير ذلك ولم ولن أعير اهتماماً أو احتراماً إلى أي رؤية مغلقة وعصبية مهما بدت مغلفة بالتدين والتطيف والتمذهب أو غيره.

ولأنني أفخر بسوريتي سأبقى حريصاً على بقائها وطناً يمكنه أن يتسع للعالم أجمع كحرصي على مركزية حضورها في قلب ثقافة العالم برمته، «وسورية تزداد ثقافة» سيعني المنعة والقوة والعمران والنصر والسلم والانفتاح الواثق في كل اتجاهات الدنيا.

كانت زوبعة في فنجان وسأحرص من جهتي وأمل أن يكون حرصكم كذلك معارضين و مؤيدين ألا نكسر الفنجان.

أختم بالشكر والعذر والاحترام الأكيد للمعرفة دون سواها.

هل يفتح باب المعرفة دون احترام الأسئلة؟!

هرتزل ودولته اليهودية...

اختلاق لقومية مزعومة

| المستشار: رشيد موعد

في كتابه الصادر عام ١٨٩٦ وتحت عنوان: «دولة اليهود». جاء «تيودور هرتزل» مؤسس الحركة الصهيونية العالمية، على حقائق نلمسها اليوم .. وتترجم في وقائع معاصرة..

فمنذ أكثر من ١٢٠ عاماً، نرى المقاربة نفسها تندرج على أحفاده الصهاينة في دولته المزعومة..

تحدث «هرتزل» في هذا الكتاب عن «المسألة اليهودية» باعتبارها من مخلفات العصور الوسطى.. ورأى أنها لم تعد مشكلة اجتماعية.. بل مسألة دينية .. وراح يفلسف رفض الاندماج بالآخر.. وتكلم عما تقود إليه من مخاطر سواء عبر الزواج المختلط، أم الدمج على بناء «دولة يهودية» مستقلة.. لأن العالم بحاجة لمثل هذه الدولة.. فيرى أنها ليست خيالاً أو حلماً .. بل حاجة عالمية.. لذلك فإنها سوف تقوم.. وتطرق إلى دور الكراهية ضد اليهود .. وتوقف عند ذلك، إذ رأى أن هذه الكراهية، تكون سبباً ومبرراً لإقامة هذه الدولة.. فالأصوات المنادية بهذه الكراهية لليهود، وكذلك السخرية.. وعدم التسامح الديني والتنافس في الأمور التجارية والتعصب الأعمى في القلوب ضد اليهود.. ونظرات الاحتقار والعزل في الصحافة والمطاعم والفنادق والمنابر، والشعور بالغربة.. كل ذلك كان في «خدمتنا» كما يقول «هرتزل».. ومن تمكن من إيذاء اليهود والقضاء على ضعفائهم.. إلا أن الأقوياء منهم يواصلون الدرب، ويستمرون.

ولم يجد «هرتزل» في «الأرض الموعودة» مكاناً محدداً لدولته.. فظل حائراً بين الأرجنتين، وأوغندا، وسيناء، والعريش، وفلسطين.. وكانت لديه عبارة مبهمة في هذا الاختيار.. وفي آخر المطاف، ربط اسم فلسطين بالحاجات الاستعمارية، وذلك كما يقول: «سنصبح ملاذات وحرس شرف وحاجز فصل لأوروبا في مواجهة آسيا. «أي الحضارة في مقابل البربرية».. وحتى تقوم هذه «الدولة اليهودية» الموعودة.. فهناك ثلاثة أسس لقيامها:

١-الجمعية – ٢- الشركة- ٣- المجموعات المحلية. فأما الجمعية: فهي ذلك الإطار السياسي والأيديولوجي لبناء الدولة.

وأما الشركة: فهي التي تتكفل الحصول على الأراضي التي تحتاجها هذه الدولة وتثبيت ملكيتها، حيث يكون هذا الإجراء خاضعاً للقانون الإنكليزي، وتحت حماية إنكلترا، وعمل هذه الشركة ينسحب على المصارف، والاكتتاب العام.

وأخيراً المجموعات المحلية: حيث يكون دور هذه المجموعات المحلية فاعلاً ومحصوراً في القوى التنفيذية.

ويتابع «هرتزل» حديثه في هذا الكتاب.. مؤكداً المسائل المعروفة في العقل اليهودي.. فهو يتطرق إلى المال.. حيث يقول: «حين اكتسبنا تفوقنا مالياً في ظل العصور الوسطى التي دفعتنا لذلك.. فإن ظروف اليوم، تدفعنا إلى عالم البورصة.. ولن يجرؤ أحد على تحدينا.. لأن الأزمات الاقتصادية ستكون تحت سيطرتنا».. هذا الكلام تحدث عنه الصهيوني «هرتزل» منذ ١٢٠ عاماً.. وتقضي الظروف أن يتحقق الآن.. وفي مجال التعامل الأخلاقي.. يقول: «إن القومية فوق الأخلاق.. وعلينا أن نمتلك وطناً مستخدمين كل الذرائع.. فالخير الأخلاقي، لا يفيدنا، ويؤشر على تقاسم أدوار بين البروليتاريا والبرجوازية اليهودية.. فعندما نغرق نصبح بروليتاريا ثورية.. وعندما نصعد.. تصعد معنا القوة الرهيبة للمال.

ورغم إشارته في بعض المواقع إلى شكل علماني للدولة الموعودة.. إلا أنه يؤكد أن المسألة اليهودية هي مسألة دينية، مستخدماً تعابير مثل «إخواني في الدين»، ويدعو لتأسيس مجموعة محلية برئاسة «حاخامات».

وبخلاف العناصر الأساسية لأي دولة.. لا يبالي «هرتزل» باللغة القومية.. مستخدماً المثال السويسري.. ويعتبر المجموعة البشرية أهم من الأرض.. فالدولة عنده لا تتشكل بوساطة «قطعة من الأرض»، وإنما بوساطة الناس والبشر.. ويأخذ قياساً على ذلك دولة «الفاتيكان» التي تبلغ مساحتها كيلو ونصف الكيلو متر مربع فقط.. لكنها تضم مواطنين كثراً.. كما أنه لا يهتم قط بقبور اليهود في أماكن متفرقة من العالم.. فهؤلاء لا يقيدونهم بالهجرة، عكس ما هو مألوف بين اليهود..

وفي النتيجة.. فإن كتاب «دولة اليهود» لمؤلفه «تيودور هرتزل» هو في محتواه ومضمونه اختلاق «لقومية مزعومة» من جماعات قومية شتى.. يعترف «هرتزل» في كتابه هذا، أنه لا وجود للأخلاق والديمقراطية.. كما تحدث أيضاً عن وطن مبهم.. مرة يراه هنا في سيناء والعريش.. ومرة هناك في الأرجنتين وأوغندا.. ويستقر به المطاف في فلسطين.

ولا يجمع مقومات هذا الوطن.. سوى فكرة واحدة.. هي «اليهودية» العنصرية.